

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(197) وثبات قوم يونس على إيمانهم وعدم انحرافهم عنه بعد كشف العذاب، ونكت

الفراغنة بعد كشف الرجز عنهم، خير دليل على أن إيمان القوم كان إيماناً اختيارياً ثابتاً ونابعاً عن اليقين، وإيمان الفراغنة كان اضطرارياً ناشئاً عن الخوف، والاول من الايمانين يخرق حجب الجهل، ويشاهد الإنسان عبوديته بعين القلب وعظمة الرب ونور الايمان، فيصير خاضعاً أمام الله، يعبده ولا يعبد غيره. والثاني منهما يدور مدار وجود عامل الاضطرار والالجاء، فيؤمن عند وجوده ويكفر بارتفاعه، ولا يعد ذلك الايمان كمالات للروح ولا قيمة له في سوق المعارف، قال سبحانه: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمٌ جَمِيعاً أَفَأَنْزَلْتَنَّا كِتَابَهُ الْذِّكْرِ عَلَىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (1) ولا شك أن الله تعلق بإرادته التشريعية بإيمان الناس كلهم بشهادة بعث الأنبياء وإرسال الرسل، ولكن لم تتعلق بإرادته التكوينية بإيمانهم، وإلا لم تتخلف عن مراده وأصبح الناس كلهم مؤمنين إيماناً لا عن اختيار، ولكن بما أن الله لا قيمة للايمان الخارج عن إطار الاختيار والناشئ عن الالجاء والاضطرار، لم تتعلق بإرادته سبحانه بإيمانهم، وإليه يشير قوله: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً). 2. هل كان كشف العذاب تكديماً لا يعاد يونس؟ قد وعد سبحانه في كتابه العزيز بأنه يؤيد رسله وينصرهم ولا يكذبهم وهو عز من قائل: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُادُ) (2) _____ 1 . يونس: 99. 2 . غافر: 51.